اعترافات كثيرة لا تكفي لجدارٍ واحد ....

الجدار الأول

تجلسُ على مقعدكَ
فارغاً من كل شيء
من قلبكَ،
ومن وقتكَ
من الزمان فارغٌ أنتَ.
تنظرُ للجدارِ معترفاً
أنّكَ اصطدمتَ بيأسكَ،
ولم تعد قادراً على البداية
تنظرُ للصور التي تحفظُ صمتكَ
وهي تعلمُ ما تكتبُ عن أكاذيبِ الذكريات.
عن الذين غابوا،
ولم يتركوا اعتذارات الرحيلِ
على أعتابكَ.
بدمعةٍ تؤنسُ فضاء وحدتكَ

أيها الغريب

قم

وحطّم مقعدكَ

لا تكمل قصيدتكَ،

وادّخر دموعكَ ليومٍ يستحقُّ فيهِ أن تبكي .

الجدار الثاني

وأنا في طريقي إلى الحبِّ يوماً
ضللتُ الطريق،
كنتُ أقلَّ حظّاً من الذينَ سبقوني إليهْ.
قبلَ أن تعلّمني الحياةُ
مهارةَ الموتِ في آخرِ الليل.
كنتُ أُصدّقُ رسائلَ الذينَ غابوا ولم يعودوا
أقرأها وأنا بكامل عزلتي
لعلّي أُعيدُ النهاية كما أشتهي. !

قديماً في قصصِ الخيالِ الساحرةْ،
قرأتُ أنّ الحبَّ كانَ حلماً في منامِ أميرْ
عن السلطانِ الذي زوّجَ ابنتَهُ لفقير
لا لأنّهُ يستحقّها !
بل لأن الحظَّ كان بطل الروايةْ .

ومضت في شأنها سنواتي العاثرةْ

حتى نسوا من أحببتُهم

اسمي

شكلي

ولوني

فسقطتُ سهواً كأوراقِ الخريفِ

من أشجارِ الذاكرةْ

لتسوقني الخطا عندَ ناصية السؤال ؟

فتجيبُ العابرةْ

من عرفَ الحبَّ لا يضلُّ

كانَ كلامها ثقيلاً على صدري

فتهاوى الجرحُ القديمُ

في القلبِ كالخاطرةْ.

فقلتُ : –

لا تسعني هذهِ الأرضُ

لأقولَ أُحبّـكِ

لأنطقَ بها خالصةً لا يشوبها الحزن

لا تسَعُني هذهِ الأرضُ

لأكتبَ نصاً واحداً يؤنسُ قَلْبكِ،

ويغزلُ لَيلَكِ بالحلم

لا تسعني هذهِ الأرضُ

لأكونَ عاشقا

لأكونَ شاعراً

لأكونَ نبياً .

الجدار الثالث

أنا لم أكن واقعياً قبل الآن
سأغدو أكثرَ شاعرية بعيداً عن هنا
هناكَ
حيثُ نحنُ.!
بعيداً عن هاجسِ الفقدِ
في شوارعنا المفخخة
فلا تحدّثيني عن غدنا البعيدْ
عن سرِّ القبلة الأولى
عن بدايات اللقاءْ
عن شجرِ الحديقة الذي علّقتُ
في أغصانهِ الخضراءْ
أشهى قصائدِ الربيعْ
بل اسأليني ..
متى يزهرُ النهارُ في بلادي ؟

من حطّمَ قناديلَ حُلمنا ؟
من مزّق الشفاه ؟
من قطعَ الغُصن ؟
ليوقدَ نار رمـادنا ؟

هكذا يتساءلُ

العابرونَ
العاشقونَ
الخائفونَ
والميتونَ

فليسَ من الغريبِ هنا
أن تحجبَ الإجابةْ !

لا زلتُ أحتضنُ رسائلنا القديمةَ في المساءْ
لأعيـدَ شيئاً منكِ،
وأعيد نفسي من ضياعها
فينحسرُ في قلبي الشتاتْ
لا لون ولا طعم للكلماتْ

هنا

يخبّئني ليلُ المدينةِ في بكائهِ

مصافحاً انكساري كلما رفعتُ رأسيّ

ونظرتُ لوميضِ نافذةٍ بعيدة

يبلعني الرصيف .

الجدار الرابع

كنتُ صادقاً جداً فيما أقول،
وتافهاً جداً فيما أعتقد !
كنتُ طيباً أكثرَ من اللازم،
لم أعرِ اهتماماً للهزائمِ التي تنمو في قلبي
وللخيباتِ التي تعلو جبيني.

- من أنتَ ؟

أنا صديقُ الطعناتِ
الوديعْ
البديعْ
في ابتكارِ نهاياتهِ المحزنة.
ماضياً سعيداً كنتُ
لمن كانوا
وحاضراً تعيساً كنتُ لنفسي.
لأنني أُجيدُ تقبيلَ الحياةِ وتصفعني

أمدُ يدي للعابرينَ،
وهم يزرعونَ سكاكينهم الناعمةَ
في جسدي ولا أصرخْ !
كنتُ ملائماً جداً
لأكونَ حقيبةً في يدها،
أو قارورة عطرٍ يسهلُ كسرها
أنا مبتسمٌ الآن
- لماذا ؟
لتصفيقِ الحشودِ
منتشياً بهذا الانبهارِ الشديد
من اعترافي أمامهم !

الجدار الخامس

كتبتُ قصائدَ كثيرةً مبتورة الحنين
لجميلاتٍ رقصْنَ بشغفٍ في الخيالْ
أنا لا أعرفُهُنَّ !
لكنني أحببتُ فكرة أن أصورك ِ
في نظراتِهِنَّ الساخرةْ
وأقدامِهِنَّ الباردةِ وهي تطأ انكساري.
ربما كان لذلكَ أثر ما
يقودني إليكِ كلما تفتحت
ندوبُ الذكريات في قلبي.
محضُ وهمٍ ما أراهْ
فكل النزيلاتِ أتمْنَ الرقصَ
والضحكَ العنيفْ
على خشباتِ المسرحِ المهجورِ
متلاشيةٌ ببطءٍ خيوطُ الأغاني في الفراغْ
لتظلّي وحدكِ قابعةً في السؤالْ
سامرةً كالليالي الحافيةِ في عروقي

وأنا جالسٌ أراقبُ ظلكِ الساكن
أقطعُ التذاكرَ للقادمينَ غداً لعلكِ :

تضحكين
وتدمعين
ترقصين
وتصرخين
تلعنينَ
وتقذفين

قصاصاتَ القصائدِ المبتورة في وجهي .

الجدار السادس

ممتلئٌ بكِ
وأسألُ كل يومٍ
كيفَ لنا أن نكونَ عاشقينِ
ولا أكتبُ فيكِ شعراً !
من قال أن الحبَ تكتبهُ القصائدُ
يجعلني متورطاً
كلما قلتِ أحبكَ ولم أجبْ،
وأفكرُ في تلكَ الدقائقِ كيفَ مرتْ
ومن أنا.؟
هذا السؤالُ يؤرقني
كلما تذكرتُ أننا لم نتشاجرْ
لسببٍ ما
ولم نسند رأسينا على جدارٍ فاصلٍ
فكيفَ لكلِ هذا الامتلاءُ
أن يكونَ فارغاً.؟
اتفقدُ قلبي آخر الليلِ

متحسساً ثقوبهُ القديمةَ

إذ ما تزالُ على حالها

ولم تتسعْ.!

وأنتِ نائمةً بقربي

أعلمُ أنكِ لا تسمعينني،

وتسدينَ جيداً طرقاتَ الألمْ

متذكراً نزار حينما قال : -

" لا تقفي مثل المسمارْ"

لم أفهمهُ

وأدركتُ بعدها

أن هناكَ مساميراً تسيرُ على أقدامها

هكذا عند الثالثةِ صباحاً

اتركُ كل شيءٍ ورائي

متخيلاً أننا نفترقُ الآن

فأصيرُ مواعيداً مؤجلةٍ

لقلبينِ لا يعرفانِ الغدَ

لكنهما يحفظانِ جيداً

ما توجبَ قولهُ عند الوداعْ.